تحرير المرأة

« اعداء الحرية — تغيير المبادئ — الماضي والحاضر ! ! »

ان الكاتب الذي لم يكن عنده اقل خبرة وحنكة بامور التحرير ومعرفة بالمسائل الاجتماعية فلا يدري كيف يملك قياد يراعه يحرج نفسه ويقع في مآزق ضيقة لا يعرف كيف يتخلص منها

اني اعرف انهُ يوجد كثيرون من اعداء الحرية ومنهم الذين يعدون رفع الحجاب كفراً بالدين وامراً مشيناً : ولكني لم اكن اعرف انهُ يوجد كتّاب يغيرون مبادءهم ويخلطون في الشؤون الاجتماعية : بل لم اكن انتظر ان يكون حضرة الاستاذ عمر المنفلوطي من هذا القبيل فيغير خطته على هذا الشكل الغريب !

فمن كان يعرف او ينتظر ان مثله الذي طالما نشر مبادئ الحرية وترنم بذكر الغربيين حتى بلغ في المغالاة الى حد غير مألوف يصبح الآن وقد نسي او تناسى ما كتبهُ ويقوم يريد قتل الحرية التي كان يطلبها للمرأة فما اسرع نسيانه وما اغرب اطواره ! !

جاء بقطعة مقتضبة اجهد نفسهُ في كتابتها وجعل يتحامى بالشرع والدين ولكنهُ لم يقرن قوله ببرهان فهو كغيره من اعداء الحرية وانصار العبودية والاستبداد الذين قامت قيامتهم لهذا السبب ولم يكن نصيبهم الاَّ الخذلان لان الدين براء من تلك المفتريات منزه عن الاباطيل

ويخال لي انهُ لم يفقه المعنى جيداً من طلب رفع الحجاب واعطاء

المرأة حريتها وحقوقها او انهُ قرأ مقالتي معكوسة فقلب الحقيقة رأساً على عقب : وهو لو افسح لفكره المجال قليلاً وامعن النظر في نقط الموضوع ونزه نفسهُ عن الاغراض لوجد اني لم اترك فيهِ شيئاً لناقد او معترض وكفى نفسهُ مؤونة ذلك الاعتراض الذي احرجهُ من حيث لا يشعر

وها انا اسرد هنا بعض اقواله المتناقضة من عدة مقالات سبق نشرها واترك الحكم فيها للقراء الكرام : —

فهو اول من انتقد الحجاب في مقالتهِ (رد على رد) صحيفة ٢١٦ بالعدد الثاني السنة الثانية حيث قال بالحرف الواحد : « انهم وضعوا المرأة تحت اقدامهم وحجبوها في بيوتهم فصغرت نفسها وبقيت لا قدرة لها على عمل من الاعمال المنزلية ولا شأن من شؤون التربية » وهذا تصريح بضرر الحجاب لا يقبل التأويل

ثم عاد يناقض نفسهُ بالصحيفة ٢٧٥ من العدد الماضي قائلاً :

« متى يا رجال الغد هذا التهاون كفى ما كان واحرصوا على البقية الباقية وضاعفوا الحجاب » ! !

أوليس هو الذي كان يحض الشبان المصريين على تزوج الاوربيات حيث قال : « فمن هنا يا حضرة الفاضلة ويا حضرات الفاضلات يجب على شبان مصر ان يتزوجوا بالاوربيات لكي نقتبس منهن هذه التربية الصحيحة النافعة لبلادنا » صحيفة ١٤٧ بالعدد الخامس الصفحة الثانية

أليس من المضحك ان يصرح بذلك ثم يقول بالعدد الماضي « قاتل الله الغرض وكفانا شر المدنية الغربية المسماة عند قوم بالتقدم والارتقاء » ! !

اذا كنت تخشى ذلك وتجاهر بأن الغربية لا تبقى أمينة على ولاء زوجها فكيف صرحت بوجوب تزوج المصريين بالاوربيات وأبيت على نفسك الاقتناع بأقوال وبراهين اولئك السيدات اللواتي خطأنك في هذه المسألة ولتذكر ان احداهنّ عارضتك بقولها : هل يرضيه ان تكون والدة ابنائه أجنبية ؟ فجاوبتها « نعم يرضيه ذلك اذا وجد مطلوباته الخمس عندها فهو مضطرّ الى الاقتران بها غير ناظر الى اختلاف المشارب والطبائع » صحيفة ٢٦٢ العدد العاشر السنة الثانية

فقل لي بحقك ما معنى ذلك هل كنت تنتظر ان ترى تلك الاوروبية مع ما هي عليه من التمسك بمبادئها تكون متحجبة تقضي النهار داخل البيت تضيق عليها المذاهب ! ! عجباً ! كنت تنادي بالمدنية الغربية وتعجب بالاوربيات حتى اوجبت الزواج منهنّ غير ناظر الى اختلاف مشاربهنّ وطبائعهنّ ثم تشنع عليهنّ وتقول ان المدنية الغربية داعية الى الفساد

ليدهشني ان صاحب تلك المبادئ والافكار التي كانت تدل على حب الحرية والرقي يكون هو ناشر هاته المقالة ويقول بضرورة الحجاب !! كدت لا اصدق ذلك بعد ان عرفنا مبدأه الذي طالما صرح به على صفحات هذه المجلة ولا أعلم كيف غير خطته فجأة

كلنا راغب في تقدم المرأة ورفع شأنها حتى ترتقي الامة وتكون في مصاف العالم المتمدن وليس غرضنا من رفع الحجاب تقليد الغربيات تقليداً أعمى يعود علينا بالضرر من حيث نريد النفع : ولا نقول دعوها

تجول في الاسواق وتعدو في الطرقات تطالب بالانتخاب وتنادي بالدستور . . . . كلاً فهذا ليس الغرض من رفع الحجاب وتحرير المرأة بل انما نريد اصلاح تلك النقائص والقضاء على بقايا البدع القديمة وليعلم حضرة المفضال ان الأدب والكمال من الخصال الطبيعية في المرأة ولا بد للحجاب او السفور في ذلك كما شرحت في رسالتي السابقة . ولعل صديقي أغفل قراءة ذلك وهو لو علم ان من الفضائح والمنكرات ما يرتكب تحت ستار ذاك الحجاب وفي جملتها (الزار) — واظنهُ يخجل ان ينسب ذلك للدين ايضاً — لعاد على نفسه باللائمة وعده شر البدع واكبر السخافات

ونحن الآن في عصر المدنية التي قضت على الاباطيل فتداعت اركان العبودية والاستبداد وآن للمرأة ان تسترد حقها المسلوب كما ذكر ضمن مقالته التي نشرها تحت عنوان (الرجل والمرأة — الحرية والتعليم) حيث قال : « فيا أيها الرجال ألم يوجد في قلوبكم ذرة من الشفقة والحنان على المرأة التي عليها ادارة أشغالكم وتدبير بيوتكم وتربية اولادكم. ألم يرق فؤادكم وتعطوها ما لها من الحقوق حتى لا تنسب اليكم سلب حقوقها » صحيفة ٢٤٥ العدد التاسع السنة الثانية .

فاين تلك الشفقة والحنان منك ايها المنادي بهما في الرجال ام ان تلك المرأة التي كنت تشير الى رحمتها واعطائها حريتها وحقوقها ليست هي هذه المرأة التي تتكلم عنها الآن وتريد تصفيدها بقيود العبودية واغلال الاستبداد ! ام أنت لم تفقه لقول الشاعر الحكيم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

او ما معنى ان يقوم (شاب حيران) يريد الزواج بواحدة تحوز خمس صفات او قل (معجزات) لا زيادة ولا نقصان فكيف يتيسر لهذا الحيران ان يجد مطلوبه (وفتاتك) مقضي عليها بالحجاب المؤبد ومن اين يعرف منها واحدة من هاته الخصال التي يطلبها وهو لا يراها ولم يسمع منها حديثاً ! ! لعمري ان ذلك سحر مبين

أولست أنت القائل في موضع آخر بالعدد السادس صحيفة ١٤٢ ما نصه : « أفهل سكت فيكم نبض الرحمة ايها الوالدون أفلا يناديكم صوت الحق ان تعطوا المرأة حق الاختيار كما للرجل فهي تنتخب شريك حياتها كيف تشاء . . . الخ » أليس هذا ايضاً تصريح برفع الحجاب وهو دليل قاطع لا يقبل التأويل والا فليفسر لنا حضرة العلامة كيف يكون ذلك الاختيار بين الزوجين ان كان هناك حجاب وما معنى اعطاء المرأة حق الانتخاب الذي أشار اليه وهي منزوية تحت السجوف ؟ ؟

واذا كان المرحوم قاسم بك امين قال ولم يفعل فذلك لأن الاجل للأسف لم يمهله وهو كان يعلم ان مثل هذه الامنية لا تنال دفعة واحدة بل يلزم الوصول اليها تدريجياً كما أشار في مقدمة كتابه (تحرير المرأة) حيث قال :

« ويرى المطلع على ما اكتبهُ اني لست ممن يطمع في تحقيق آماله « في وقت قريب لأن تحويل النفوس الى وجهة الكمال في شؤونها مما « لا يسهل تحقيقه وانما يظهر اثر العاملين فيهِ ببطء : الى ان قال : وما « نحن فيهِ اليوم ليس في الطاقة البشرية تغييره في الحال . وليس من

« العار علينا اننا وجدنا في مثل هـذه الحالة لأن كل عصر لا يسأل الا « عن عمله . وانما العار ان نظن في أنفسنا الكمال وننكر نقائصنا وندعي « ان عوائدنا هي أحسن العوائد في كل زمان ومكان الخ الخ » .

بيد انهُ فتح لنا الباب وأرشدنا اليهِ فولجناه ونحن اذا قلنا الآن فانما نعمل بما تقول دون انتظار لاننا اذا انتظرنا بعضنا البعض فمحال ان نصل الى درجة الرقي المطلوبة

ومن الامور الغريبة انتقـاد الذين يسيرون الى الامام وينفضون غبار الخمول وينبذون غياهب الجهالة بل ومن المضحك ان يقال ان انتقاد هؤلاء وتثبيط همم النابغين ليس الا نصح مبين ! ! ولا أدري بأي وجه حق يوجه كلمـة عار لذاك الزوج الذي يخرج مع زوجتـه سافرة كأن من يرتقي في المبادئ والمدنية ويخلع رداء الاباطيل والسفاسف يأتي أمراً فرياً ! ! وهو رأي غريب وأغرب منه تأويل المسائل وقلب حقائقها فيدعي ان طلب الاصلاح يسبب الفساد وان السفور يقضي على العفاف

ولا ادري على اي نظرية بنى هذا الاعتقاد الفاسد ألهمَّ الاَّ تلك الرواية الوهمية التي جاء بها حجة (بان الغربية تقول لزوجها لأي شيء يقع منه انها تاركة اياه لتذهب مع حبيبها فلان الخ .....) ولا أفهم كيف سمح له ضميره بان يستشهد بخرافة كهـذه ولا من اين سمعها اللهمَّ الاَّ ان تكون تلك الغربية من فاسدات الاخلاق وبائعات الأعراض فكفى انها رواية فاسدة برهنت على ان معارضتهُ مبنية على اوهام باطلة لأن المرأة المتربية العالية الشرف ارفع من ان تتدانى الى التشبه ببنات الاسواق والساقطات

من رعاع الطرق وفاسدات التربية اللواتي لا يعرفنَ معنى الشرف والطهارة وان الامم التي يقع فيها فساد فذلك راجع لنقص في التربية وسوء في الاخلاق

وكان الاجدر بحضرة العلامة ان يكون اكثر حرصاً على قلمهِ ويراجع ما كتبهُ فيما سبق وسجله على نفسهِ قبل ان يخط حرفاً من هذه المقالة . ولعمري انها مقالة (سيئة الحظ) كسابقاتها اذ انه مهما ناقش في الموضوع وتحمس لأجله لا يجد له نصيراً او سميعاً خصوصاً وان معظم فتيات وسيدات هذا العصر اللواتي نلنَ من التعلم والرقي حظاً كبيراً قد تركنَ الحجاب من زمن ويستحيل ان يرجعنَ الى الشيء المتروك المنبوذ وقد جاءت مقالته متأخرة لأوانها وهيهات ان يكون لها تأثير في نفوسهنَّ بعد ان نبغنَ وتقدمنَ الى الامام ومحال ان يرجعنَ الى الوراء او ينظرنَ اليهِ

ولكن أبى يراعك الاّ ان يظهر مكنونات باطنك باجلى برهان وافصح عبارة ؛ وها وقد وضح الصبح وحصحص الحق وظهر بان تلك الطنطنة الماضية لم تكن الاّ ظواهر اللهم الاّ اذا كانت (حيرتك) قد انتهت الآن ورأيت ان الزواج بالاوروبيات بعيد النوال . اذ كيف يمكن الحصول على زوجة اوروبية ترضخ تحت حكم حجابك وترضى بهذا التضييق وهنَّ حريصات على مبادئهنَّ حرصهنَّ على الحياة . وهذه مقالتك الأخيرة اعظم دليل على انك عدلت عن فكرك السابق فأنعم بها من مقالة اشاحت اللثام عن ذلك الماضي ومحت عنهُ ذلك الطلاء الباطل

واني لأعجب من كاتب يكتب لا لغرض المنفعة الحقيقية بل حباً في الظهور فيجري على سنة اللذين يقولون (خالف تعرف) ولكنهُ للأسف

لم يكن بصيراً في امره فكتب عدة مواضيع وعاد يناقضها كأنه صدى نفسه يجاوبهُ ولا يبعد ان يغير خطته مرة ثانية وكفى ان تكون هذه المرّة درساً له فيتبع الحق ويقطع حبل الباطل ان الباطل كان زهوقاً

ص . ا

مسألة المرأة

تشبث بي صديق يطلب اليَّ ان اكتب رسالة في مسألة المرأة فاذعنت وجعلت اسأله من اي الابواب في الموضوع انفذ حتى اذا دلني جئت برسالتي هذه حكماً بين متناظرين في مجلة الجنس اللطيف الغراء

وما كنت لأقف موقف الحكم لولا ان احد هذين المتناظرين الاديبين اقامني عند ذلك وابى عليَّ الاَّ ان ابدي الرأي الحق فيما بينهما والرأي الحق في جانب صاحبي هذا فماذا اقول بعده وماذا اردد من الكلام والبراهين التي طالما تناولها قلمي المرة بعد المرة وطالعتها عيناي ووعاها قلبي من اول ما تباحث الادباء والمفكرون في مسئلة المرأة

كم نوقشت في مسئلة الحجاب والسفور . كم نوقشت في مسئلة جهل المرأة وعلمها حتى اصبحتُ من بعد كل هذا ارى انهُ من العبث ان احرك يراعي رغبة في اقناع هؤلاء الناس الذين ما برحوا يقولون بصلاحية الحجاب . الذين يقولون ان الحجاب لا يقف سداً منيعاً بين المرأة والتربية المثلى او الذين يقولون ان الحجاب ليس سبب تأخرنا وانهُ ليس العلة القتالة في العائلة المصرية فانهُ ترك المرأة عندنا مثال الجبن والخمول